ضوابط صياغة المشكلة في البحث العلميّ وأخطاء الباحثين: (نماذج من الأطروحات الجامعية في التفسيروعلوم القرآن بماليزيا)

Rules on How to Formulate the Problem Statement in the Scientific Research and the Researchers' Mistakes: (Samples from the Universities' Theses in Tafsīr and 'Ulūm Al-Qur'ān in Malaysia)

الأستاذ المشارك الدكتور: باي زكوب عبد العالي

قسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، كوالا لمبور، ماليزيا،

Bey Zekkoub Abdelali

Associate Professor, Al-Madinah International University, Kuala Lumpur/ Malaysia,

bey.zekkoub@mediu.edu.my

الملخص:

تزداد قيمة البحث العلمي بزيادة قيمة مشكلته، وتنقص قيمته بنقصان قيمة مشكلته إلى درجة الانعدام، حينما تصبح المشكلة خياليّة لا واقعيّة، وغريبة لا مألوفة، وغامضة لا واضحة. ومن له أدنى تمرّس بالعمل الأكاديميّ كباحث ومشرف ومناقش ومحكّم؛ يدرك أنّ أخطر ما قد يقع فيه الباحث ابتداءً؛ اختياره العشوائي لمشكلة البحث العلميّ، ما يجعل عمله اجترارًا لأفكار سابقة، وفاقدًا للمصداقيّة، وهدفًا لسهام النّقد، وسببًا للنّهي عنه والنّأي عنه؛ فيضرّه ذلك في دينه وعلمه وعرضه. لذا سعى البحث لوضع ضوابط علميّة دقيقة لصياغة مشكلة البحث العلميّ، ثم بيان الأخطاء المنهجيّة الواقعة في صياغتها، وخصّ بذلك الدّراسات القرآنيّة من خلال نماذج من الأطروحات الجامعيّة، موظّفًا المنهج الاستقرائيّ التحليليّ، وقد توصّل البحث إلى عدةضوابط علميّة لصياغة مشكلة البحث العلميبشكل احترافيّ وهي: الإخلاص، التحقّق من صحّة المشكلة، التأنّي وعدم الإسراع، مراعاة التخصص والأهلية العلميّة، الالتزام بالواقعية والوضوح والإيجاز غير المخلّ، مناسبة المشكلة لبرنامج الطالب، الكفاية العلمية والمادية وربط المشكلة بالدراسات السابقة، ثم ناقش أهم الأخطاء الشّائعة بين الباحثين أثناء صياغة المشكلة في البحث العلميّ.

الكلمات المفتاحية:ضوابط - مشكلة البحث - أخطاء الباحثين – الأطروحات الجامعيّة – التفسير وعلوم القرآن.

Abstract:

The problem statement determines the value and the credibility of the scientific research since it reflects the efficiency and the novelty of the study being conducted. As a consequence, it has to be clear, concise and reflecting the depth of stu dy. Those who have the minimum experience of academic work such as researcher, supervisor, examiner and reviewer; realize that the most common mistake that the researcher may commit before embarking in any research; is the random and careless selection of the problem statement of his research, which makes his research a repetition to previous research, lacking credibility, and vulnerable to criticism. This research seeks to implement sound rules in order to shape the problem statement of research, and then to indicate the methodological errors, in particular the Qur'anic studies through samples from the Universities' Theses. By employing the inductive and analytical method, and from the expected results of the research: Setting scientific rules that help in formulating the problem statement professionally, then discussing the common mistakes among researchers while formulating the problem statement.

Key words:Rules - Problem Statement - Researchers' Mistakes – Universities' Theses - Tafsīr and 'Ulūm Al-Qur'ān.

مقدمة:

إن البحث العلمي في العلوم الإسلامية، لقي اهتماما كبيرا منذ القدم، فتنافست فيه أقلام العلماء والباحثين بين مقل ومكثر، ومجد ومقصّر، ورغم ما حقّقه من ثروة علمية ضخمة على المستويين الكمّي والنّوعي، إلاّ أنّ الكفة باتت راجحة في كثير من الأحيان -إلا قليلًا- للمستوى الكمّي، وخصوصًا في وقتنا الرّاهن؛ ذلك وأنّ كثيرًا من البحوث العلميّة المطبوعة أو المنشورة، تكاد تكون صورًا طبق الأصل لمؤلفات قامت منذ سنين عددًا، لتنحرف عن مقاصد البحث العلمي وتطلّعات جماهير الأمة الإسلامية. قال ابن حزم رحمه الله (المتوفى: 456 ه): " لا يؤلّف عاقل كتابًا إلاّ في أحد أقسام سبعة، ولا يمكن التّأليف إلاّ في أحدها، وهي: إمّا أن يؤلّف من شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتمّه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره، دون أن يخلّ بشيء من معانيه، أو شيء متفرّق يجمعه، أو شيء مختلط يرتّبه، أو شيء أخطأ فيه مؤلّفه يصلحه"، (ابن حزم: 1987، ج2، ص186). هذه المقاصد المنهجيّة التي ذكرها عالم أندلسيّ من علماء القرن الخامس، دعوة إلى كلّ باحث للسّير على منهجها؛ حتى ينتج بحثًا ذا قيمة علميّة تتّسم بالجدّة والجدّيّة. ولا يسمّى الباحث باحثًا، ولاالبحث بحثًا؛ حتى يأتي بشيء جديد في عالم الإنسان، وإلا كان تكرارًا لما سبق، وإسرافًا للوقت، وإجهادًا للعقل فيما لا طائل تحته، وقد قال عبد الله دراز رحمه الله (المتوفى: 1377ه) في مقدمة كتابه: " فلم يكن شروعنا في هذا المؤلف الجديد عن القرآن، عبثًا نضيع فيه وقتنا، ونثقل به على قرّاءنا، ونزحم به مكتباتنا، فإذا لم يأتِ عملنا هذا بشيء جديد في عالم الشرق أو الغرب، فلن يكون سوى مضيعة وزحمة وإثقال" (دراز: 1987، ص1). وبحكم تجربة العمل الأكاديميّ لعدة سنوات، لوحظ أنّ أخطر ما قد يقع فيه الباحثون والكتاب ابتداءً؛ اختيارهم الارتجالي لإشكال البحث العلميّ، ما يجعل عملهم اجترارًا لأفكار سابقة، وفاقدًا للمصداقيّة، وهدفًا لسهام النّقد؛ إذ لا بحث جيد، بغير إشكال جيد؛ لأنّ أهمية الإشكال بالنسبة للبحث العلمي، كأهمية القلب بالنسبة للإنسان، والذي جاء وصفه في الحديث النبوي بـ: «المضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله » (مسلم: 1998، ج3، ص 1219).

ولذلك جاء هذا البحث ليضع ضوابط علميّة دقيقة لصياغة مشكلة البحث العلميّ، ثم بيان الأخطاء المنهجيّة الواقعة في صياغتها، ويخصّ بذلك الدّراسات القرآنيّة من خلال نماذج من الأطروحات الجامعيّة.

أولا:مفهوم المشكلة في اللّغة والاصطلاح

أصل المشكلة من الجذر اللغوي (ش ك ل)، يدور حول الاختلاط، والالتباس، والاشتباه، والمشاكلة، والمماثلة، والموافقة. جاء في معجم مقاييس اللغة: "الشين والكاف واللام معظم بابه المماثلة. تقول: هذا شكل هذا، أي مثله. ومن ذلك يقال أمر مشكل، كما يقال أمر مشتبه" (ابن فارس: 1979، ج3، ص204)، وفي لسان العرب: "وأشكل الأمر: التبس واختلط، وأمور أشكال: ملتبسة، وأشكلت علي الأخبار وأحكلت بمعنى واحد، ومسألة مشكلة؛ أي: معضلة" (ابن منظور: 1994، ج11، ص 453/357)، وفي المعجم الوسيط: "استشكل الأمر: التبس وعليه؛ أورد عليه إشكالا، والإشكال: الأمر يوجب التباسا في الفهم" (مجموعة من المؤلفين: د.ت، ج1، ص491).

المعنى الاصطلاحي للمشكلة مأخوذ من معناها اللّغوي، فإذا كان قولهم: أشكل عليّ الأمر إشكالًا، واستشكلته بمعنى التبس عليّ فهمه واختلط، فإنه يمكن القول : أنّ المشكلة هي الأمر الذي يوجب التباسًا في الفهم، أو الأمور الملتبسة.

ونجد أنّ الاستخدام القديم لمصطلح (المشكل) عند علماء الشّريعة، يرادف إلى حدّ ما استخدام مصطلح (المشكلة) في العصر الحديث، ويعنى بالمشكل في اصطلاح الشّرع: "ما لا يُنال المراد منه إلا بتأملٍ بعد الطلب، وهو الدّاخل في أشكاله، أي: في أمثاله وأشباهه، مأخوذ من قولهم: أشكل، أي: صار ذا شَكْلٍ، كما يُقال: أحرم، إذا دخل في الحرم، وصار ذا حُرْمَةٍ " (الجرجاني: 1838، ج1، ص215)، وبهذا فإن مصطلح (المشكل) هو الأقرب دلالة إلى مصطلح المشكلة في البحوث العلمية.

وتعرف المشكلة في البحث العلمي بأنّها: "موضوع أو مسألة يحيط بها الغموض، أو موقف أو ظاهرة تحتاج إلى تفسير وتحليل أو قضية تكون موضوع خلاف" (القرالة: 2011، ص2)، وأيضًا بأنها: "موقف غامض أو متناقض أو محير يحتاج من الإنسان إلى تفسير مقنع له، للوقوف على علله وأسبابه" (القرالة: 2011، ص2)، وهذا ما أشار إليه الشاطبي رحمه الله (المتوفى: 790هـ) في حديثه عن معرفة أسباب التنزيل بقوله: "ومعرفة الأسباب رافعة لكل مشكل" (الشاطبي: 1997، ج4، ص146).

فالمشكلة في البحث العلمي هي: المسألة العلمية التي يكتنفها الغموض، ولا توجد إجابة عليها في المصادر العلمية المتوفرة إجابة مقنعة، ويأتي البحث للإجابة عليها وتقديم حلول لها تتناسب وطبيعة البحث.

ثانيا: ضوابط صياغة المشكلة

يدرك الأكاديمون والمتخصصون في البحث العلمي؛ أنّ المشكلة هي أهم خطوة من خطوت البحث العلمي، بل هي الخطوة الأساس في كتابة البحوث العلمية، ولا يمكن لباحث أن يكتب بحثًا، دون تصورّهلمشكلة ما،تدفعه إلى البحث والتقصّي للمعلومات والحقائق في قضية من القضايا التي لا يوجد عليها إجابات علمية مقنعة. ويخطئ كثير من الباحثين حينما يشرعون في كتابة بحوثهم العلميّة دون تصوّرهملمشكلة حقيقيّة؛ ممّا يؤدّي لا محالة إلى بذل جهود ضافية حولمواضيع تمّت الإجابة عنها منذ سنين عددًا، أو ربّما في مواضيع لا تستدعي البحث أصلًا؛ كونها من البديهيّات. ومن هنا كان من الأهميّة بمكان لكلّ باحث ينوي البحث في موضوع ما، أن يتصوّر في ذهنه أوّلا المشكلة البحثية؛ لتكون هي المنطلق الأساس في عملية البحث العلمي.

هذه الخطوة الأساس هي التي تساعد في تحديد الموضوع وتوجهه، وتجنّب الوقوع في المبحوث عنه، والباحث النّاجح هو الذي يتصوّرمشكلة حقيقيّة للموضوع المراد بحثه، للوصولإلى أجوبة تحتوي على إضافات علميّة تلبّي تطلّعات جماهير الأمّة، ورغباتها،وحاجاتها المتجدّدة.

وعليه،تزداد قيمة البحث العلمي بزيادة قيمة مشكلته، وتنقص قيمته بنقصان قيمة مشكلته إلى درجة الانعدام، حينما تصبح المشكلة خياليّة لا واقعيّة، وغريبة لا مألوفة، وغامضة لا واضحة. ومن له أدنى تمرّس بالعمل الأكاديميّ كباحث ومشرف ومناقش ومحكّم؛ يدرك أنّ أخطر ما قد يقع فيه الباحث ابتداءً؛ اختياره العشوائي لمشكلة البحث العلميّ، ما يجعل عمله اجترارًا لأفكار سابقة، وفاقدًا للمصداقيّة، وهدفًا لسهام النّقد، وسببًا للنّهي عنه والنّأي عنه؛ فيضرّه ذلك في دينه وعلمه وعرضه، وما أصدق الدكتور فريد الأنصاري رحمه الله (المتوفّى: 2009هـ) حين قال: "إن أخطر ما قد يقع فيه الباحث ابتداء، اختياره الارتجالي لموضوع البحث؛ إذ ربما يدخل معركة وهمية: الخصم فيها مفقود، فيبذل من الجهد والوقت أقصاهما للوصول إلى لا شيء! حتى يكون عمله عبارة عن جمع للمعلومات، والحقائق، ليركّب منها ما قد ركّبه غيره مرّة، أو ربّما مرّات" (الأنصاري: 1997، ص28) ذلك أنّ أهمية المشكلة على حدّ تعبير ميشيل بو: "بالنّسبة لبحث الأطروحة، كأهمية الدّماغ، أو الجهاز العصبيّ بالنّسبة للإنسان، أو كأهمية قمرة القيادة بالنسبة للطّائرة، ولا توجد أطروحة جيّدة دون مشكلة جيّدة" (ميشال بو: 2006، ص55).

والآن نضع أهم الضوابط التي ينبغي مراعاتها عند صياغة مشكلة البحث، وهي كالآتي:

2- الإخلاص

لقد كان علماء هذه الأمة يفتتحون مشاريعهم العلمية عادة بحديث: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» (البخاري: 2002، ج1، ص6)، وذلك أن ينوي الباحث بمشروعه العلمي وجه الله تعالى، طالبًا للثواب عنده، وغفرانه فحسب، وتاركاً وراءه جميع الأغراض الدّنيوية، ولا شكّ أنّ استحضار النية محفّز قوي للباحث؛ للتحقّق من أصالة الموضوع المراد بحثه، فلا يُخفي دراسة سابقة تناولت الموضوع في أجزائه أو كلياته، حتى لا يكرّر بالدّارسة والتّحليل مشكلة سبق معالجتها وتفسيرها، وإذن فلا خوف على من استحضر النية؛ العزم على بذل الجهدفي تتبّع الموضوع المراد بحثه، من مصادره المتنوّعةعلى وجه يحسّ الباحث من نفسه العجز عن المزيد عليه من استقراءالدّراسات السّابقة؛ لأنّه استفذه جميعًا، مع تخصيص وقت كاف للقراءة والاطّلاع والفهم، والعمل على كلّ جديد في موضوع بحثه، والحرص على اختيار موضوع بحثه؛ بحيث يتناسب مع إمكانياته الماديّة وقدراته العقليّة والعلميّة، وهذا يعني أن يكون ملمًّا بشكل واف بمجال موضوع البحث نتيجة خبرته أو تخصّصه في مجال البحث، أو لقراءاته الواسعة والمتعمّقة.

3- التحقّق من صحّة المشكلة

إنّ التحقّق من صحّة المشكلة، يعدّ الخطة الأولى والأساس بعد تصوّر الباحث لموضوع البحث المراد الكتابة فيه، ويكون هذا باطّلاع الباحث الواسع والدّقيق على الدّراسات السابقة ذات الصّلة، وهذا الاطّلاع هو الذي يكوّن في ذهن الباحث المشكلة البحثية؛ بحيث إنّه بعد تقصّيه لجميع الدّراسات السّابقة في الموضوع، ودراستها دراسة نقديّة تحليليّة؛ تتحدّد لديه الفجوة العلمية والفراغ العلمي في الموضوع المراد بحثه، ويدوّن الأفكار التي ينبغي مناقشتها، ويضيف عليها أفكاره فيما بعد، ونظرًا لأهمية تتبع الدراسات السابقة؛ نجد الدراسات في المجال العلمي والتربوي قد خصصّت فصلاً مستقلا للدّراسات السّابقة، وكذلك بعض المجلات العلميّة خصّصت مجالا لكتابة المقالات العلمية، المتعلّقة بمراجعة وتحليل الدّراسات السّابقة. ونلفت الانتباه أن تكون هذه الدّراسات السّابقة في نفس المجال العلمي المراد البحث فيه، وعليه ليس بالضروري أن تحمل نفس العنوان للموضوع المراد بحثه كما يعتقد البعض، وإنّما يكفي أن تعالج جزئية من جزئيات الموضوع المراد بحثه ولو بمصطلحات أخرى شبيهة، وقد تكون الدّراسات السّابقة عبارة عن مقالات علمية منشورة في مجلات علمية محكّمة، وإن كان الأفضل التّركيز على الأطاريح العلميّة، ولكن هذا لا يمنع من تتبّع المقالات التي تعرّضت لنفس الفكرة ومهّدت لها وخدمتها، ومن الأمور المساعدة للتحقّق من صحّة مشكلة، إجراء الباحث مقابلات مع أشخاص بحثوا في مشكلة قريبة من المشكلة التي سيقوم ببحثها، والاطّلاع أيضا على المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدّراسات السّابقة. هذا وإنّ الغرض من التحقّق من صحّة المشكلة؛ يتمثّل في اجتناب تكرار كتابة ما سبق، وقد أحسن النّووي رحمه الله (المتوفى: 631هـ) حين قال: "وينبغي أن يكون اعتناؤه من التصنيف بما لم يسبق إليه أكثر، والمراد بهذا أن لا يكون هناك مصنف يغني عن مصنفه في جميع أساليبه، فإن أغنى عن بعضها؛ فليصنف من جنسه ما يزيد زيادات يحتفل بها، مع ضم ما فاته من الأساليب، وليكن تصنيفه فيما يعم الانتفاع به ويكثر الاحتياج إليه" (النووي، د.ت، ج1، ص30).

4- التأنّي وعدم الإسراع

على الباحث التُؤدة والتأنّي في مرحلة إعداد مشكلة البحث، والتي –كما أشرنا سابقًا- تعتبر الأساس في البحث العلمي، فإن استقامت؛ استقام، وإناعوجّت؛ اعوجّ، وفي مرحلة إعداد المشكلة، على الباحث أن يتخيّر ما له قيمة علميّة في بحثه، وفائدة لنفسه ومجتمعه المحيط به. فينأى بنفسهعن المواضيع التي أشبعت بحثًا، والمواضيع الغريبة التي تخالف السنن التي أقيم عليها الخلق، والمواضيع التي تتسبّب في إحداث فتنة في المجتمع والإنسانية، ولا ينبغي الاستعجال

في إعداد المشكلة، لأنّ الاستعجال في هذه المرحلة أمر خطير جدًّا بالبحث العلمي، قد يفوّت على الباحث دراسات علمية عالجت الموضوع بشكل محترف، فيكون هذا سببًا كافيًا للفشل في مشروع إعداد الأطروحة العلمية.

5- مراعاة التخصّص والأهلية العلميّة

من المهم أن يكون موضوع البحث المختار ضمن تخصّص الباحث الدقيق، فمن غير المنطقي أن يقفز الباحث من تخصّصه إلى تخصّصات أخرى تتعلّق بمجالات أخرى، كذلك ينبغي أن يكون موضوع البحث المختار ملبيًّالميول ورغبات الباحث لسير عملية البحث العلمي، فمن غير المنطقي أيضًا أن يُفرض على الباحث الكتابة في موضوع ما، لا يحقّق رغبات الباحث وميوله، فحبّموضوع طريق قويّ نحوالنّجاح والإبداع، كذا ينبغي أن يكون مؤهّلا علميًّا قبل خوض غمار البحث الذي ينوي القيام به، ويتأتّى هذا بالقراءة الواسعةللمواضيع ذات الصّلة بتخصّص الباحث، فتتكوّن لديه بعض الأفكار التي من الممكن استغلالها في عملية البحث العلمي، وابتكار آراء لم يصل إليها من سبقه في البحث، قال النّووي رحمه الله: "وينبغي أن يعتني بالتصنيف إذا تأهّل له، فبه يطلع على حقائق العلم ودقائقه، ويثبت معه، لأنه يضطره إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتحقيق والمراجعة والاطلاع على مختلف كلام الأئمة، ومتفقه، وواضحه من مشكله، وصحيحه من ضعيفه، وجزله من ركيكه، وما لا اعتراض عليه من غيره، وليحذر كل الحذر أن يشرع في تصنيف ما لم يتأهل له، فإن ذلك يضرّه في دينه وعلمه وعرضه" (النووي، د.ت، ج1، ص29).

6- مراعاة الو اقعية والوضوح والإيجازغير المخلّ

ونعني بذلك قيام الباحث بكتابة مشكلة بحثيةتنبثق من الواقع الذي يعيش فيه؛ حتى يقدّم له حلولا مناسبة، وأن تكون المشكلة المختارة تتسم بالجدة والجدية، فيركّز جهده ووقته في الأجزاء غير المبحوثة؛ حتى يضيف بعض الإضافات العلمية الجديدة في مجال تخصصه، لذا فلا ينبغي أن يقوم الباحث باختلاق مشكلة غير موجودة، أو نقل مشكلة قديمةلم يعد البحث فيها مجديًا في زمننا الحالي. أما الوضوح فهو يعدّ من أهم الضوابط في صياغة المشكلة؛ حيث يجب على الباحثاستخدام كلمات واضحة ومركزة للغاية أثناء قيامه بصياغة مشكلة البحث،لكي يفهم القارئ المشكلة المعروضة في البحث العلمي، والتي يسعى لحلّها، مع اجتنابه الاختصار المخلّ، والتّطويل المملّ. والمشكلة تصاغ في حدود صحفة أو صحفة ونصف في أكثر تقدير، مع اجتناب الحشو الزائد الذي يتسبّب في الغموض في كثير من الأحيان، قال النّووي رحمه الله: "وليحرص (أي الكاتب) على إيضاح العبارة وإيجازها، فلا يوضح إيضاحًا ينتهي إلى الرّكاكة، ولا يوجز إيجازًا يفضي إلى المحق والاستغلاق" (النووي: د.ت، ج1،ص30).

7- مناسبة المشكلة لبرنامج الطالب

ينبغي أن تتناسب المشكلة المطروحة في البحث مع المدّة المخصّصة للبرنامج الذي يدرس فيه الباحث، بحيث يستطيع الباحث أن يستكمل بحثه في المدّة المخصّصة لها، ويحقّق العدد المطلوب من كلمات البحث، فمن غير المنطقي أن يقوم طالب في مرحلة الدكتوراه باختيار موضوع يتناسب مع برنامج الماجستير، ما يجعل الباحث يحشو بحثه بمعلومات لا تخدم البحث؛ لأجل الوصول إلى عدد كلمات البحث المطلوبة، وعلى نقيض ذلك أن يقوم طالب في مرحلة ماجستير باختيار موضوع يتناسب مع برنامج الدكتوراه، ما يجعل الباحث يختصر موضوع بحثه اختصارًا يخل بالمعنى؛ حتى يتجنّب تجاوز عدد كلمات البحث المشروطة في البرنامج المخصّص له. هذا وينبغي مراعاة المرحلة الدّراسية عند صياغة المشكلة، فلا تكون مشكلة البحث فضفاضة يصعب التحكّم فيها، ولا ضيّقة بحيث لا تؤدّي وظيفتها.

8- الكفاية العلمية والمادية

من الضّوابط المهمة في صياغة مشكلة البحث، أخذ بعين الاعتبار كفاية المواد العلمية والموارد المادية للباحث، وبالنسبة للنّاحية العلمية، أن تكون المشكلة قابلة للبحث،وتتوفّر لها المصادر والمراجع الكافية، ولا تعترضها موانع تحول دون دراستها، وأما النّاحية المادية فلا تقلّ أهمية عن النّاحية العلمية، وخصوصًا إذا كان الحصول على المعلومة؛

يستدعي من الباحث السّفر إلى دول أخرى لاقتناء المعلومة، أو ربّما شراء بعض الكتب غير المتاحة لدى الباحث مطبعيًّا أو رقميًّا، أو ربّما إجراء دراسة ميدانية تستدعي من الباحث السّفر وإجراء مقابلات، ولا يكون هذا إلا بتوفّر المال الكافي لتغطية الحاجات الأساسية من أكل ومبيت وغير ذلك. ويجب التنبيه أنّ هناك بعض الأبحاث توقّفت بسبب غياب العامِلَيْن العلميّوالماديّأو أحدهما.

9- ربط المشكلة بالدّراسات السّابقة

لا شكّ أنّ الدّراسات السّابقة تساعد في إيضاح مشكلة البحث العلمي، وتوضّح الإضافة العلمية التي ستقدمها مشكلة بحث للبحوث العلمية، كما أنها تساعد الباحث فياكتشاف جوانب الغموض في المجالات المتعلّقة ببحثه، ذلك وأنّ توظيف الدّراسات السّابقة في صياغة المشكلة، تسهم في تسديد البحث العلمي، وتطوير الجوانب التي وقفت عندها الدراسات السابقة، وإبراز الفجوة الموجودة في الدراسات السابقة.

ثالثا: أخطاء الباحثين عند صياغة المشكلة

قد مرّ معنا أن لصياغة المشكلة شروطًا، ولا شكّ أنّ الإخلال بها أو ببعضها يرتّب أخطاء منهجية فادحة في البحث العلمي، لأنّه لا أطروحة جيّدة، دون مشكلة جيّدة، لذا كان لزامًا على الباحث أن يستحضر هذه الشّروط في ذهنه وهو يصيغ مشكلة البحث، وأن يكون على قدر عال من المسؤولية، فيبذل جهده ووقته للوقوف على مشكلة بحثية حقيقية غير وهمية، وذات قيمة علمية أكاديمية، وفائدة مجتمعية وإنسانية، ولكن عند غياب هذه الشروط في ذهن الباحث لأسباب ترجع إلى الباحث نفسه؛ فإنهيقود إلى انحراف البحث العلمي عن الجادّة، وقد صدق السّيوطي رحمه الله (المتوفى: 849هـ) حين قال: " لا ينبغي لحصيفٍ أن يتصدى إلى تصنيف أن يعدل عن غرضين: إما أن يخترع معنى، وإما أن يبتدع وضعا ومبنى، وما سوى هذين الوجهين؛ فهو تسويد الورق، والتحلي بحلية السرق" (السيوطي: د.ت، 30).

والباحث إذ ينقل هذه النّماذج للقرّاء؛ فإنّه لا يقصد بذلك التّقليل من قيمة البحوث، ولا تتبّع أخطاء مؤلفيها، وإنّما الغرض من ذلك؛ الوقوف على الأخطاء المنهجية في صياغة المشكلة البحثية، وتنبيه الباحثين من الوقوع فيها، وحسبنا في هذا قول الشّافعي رحمه الله (المتوفى: 204هـ): "لقد ألّفت هذه الكتب ولم آل فيها، ولابدّ أن يوجد فيها الخطأ؛ لأنّ الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82]، فما وجدتم في كتبي هذه ممّا يخالف الكتاب والسنّة، فقد رجعنا عنه"(السّيوطي: د.ت، 24).

وسأتناول هنا جملة من الأخطاء في صياغة المشكلة، وقد جعلتها فيخمس نقاط:

1- الخطأ النّاشئ عن عدم التمييزبين مشكلة البحث وأهدافه

صياغة المشكلة تختلف عن صياغة الأهداف، فلا أهداف دون مشكلة، والأهداف مرحلة متأخّرة عن مشكلة البحث، فيلزم على الباحث أن يصيغ المشكلة وفق الضّوابط التي تم ذكرها، ونسوق هنا مثالاعن رسالة علمية، بعنوان: "**منهج الإمام الألوسي المتوفى 1270هـفي علم المناسبات وأثرها في تفسيره روح المعانيمن خلال سورة سبأ وفاطر ويس - جمعًا ودراسة ونقدًا**"، مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، في كلية العلوم الإسلامية، قسم القرآن الكريم وعلومه، جامعة المدينة العالمية، سنة 2020، للباحث محمد فاضل مصطفى المين، ونص المشكلة: "تتمثل مشكلة البحث في سؤال راود الباحث وهو: ما هي المناسبات في تفسير العلامة الألوسي~، وما أثرها في التفسير؟ وللإجابة على هذا السؤال ونتيجة للرغبة الجامحة في الوصول للمناسبات في تفسير العلامة الألوسي~ المسمى بـ ((روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)) بغية جمعها ودراستها لمعرفة أثرها في التفسير من خلال سور: سبأ، وفاطر، ويس، كنموذج كان على الباحث -في طريق تحقيق ذلك – الإلمام بعلم المناسبات في القرآن الكريم بشكل عام من حيث التعريف، والموضوع والثمرة، ومعرفة الراجح من أقوال العلماء فيه، والمؤلفات فيه وأهميته، وفائدته، وأنواع المناسبات في القرآن الكريم" (فاضل: 2020، ص2).

ويلاحظ أن الباحث ابتدأ مشكلة بحثه بسؤال عام، متبوعا بهدف عام، وأهداف فرعية تم معالجتها في مؤلفات وبحوث علوم القرآن منذ عشرات السّنين. والخلاصة، أنّ الرّسالةخلت من مشكلة علمية، وإذا خلا أيّ موضوع من مشكلة علمية، فالكتابة فيه تصير ترفًا فكريًّا، وكما يقول الأنصاري رحمه الله: "إنّ الإشكال الذي لا ينبع من العوائق العلمية الحقيقية هو إشكال وهمي، والبحث المبني عليه إذن، هو بحث لاغ" (الأنصاري: 1997، ص28).

2- الخطأ النّاشئ عن صياغة مشكلة وهميّة

تُصاغ مشكلة البحث بأسلوب واضح ومباشر ومحدّد، بعيدًا كل البعد عن الأسلوب غير العلمي، وكلّما كانت صياغة مشكلة البحث واضحة ومحدّدة ومباشرة، كلما ساعد ذلك على إتمام البحث بشكل احترافي،ونسوق مثالا عن رسالة علمية، بعنوان: "**صفات المرأة الصالحة من خلال سورة الأحزاب: دراسة موضوعية**"، مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، في قسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، سنة 2020، للباحثةبلقس عمر مختار، ونص المشكلة: "يظهر جليا أن كثيرا من المسلمات سيطر عليهن الجهل بأحكام دين الاسلام، ونتيجة لذلك اعتقد كثير منهن أن لبس الحجاب من علامات البداوة وقلة الحضارة في عصرنا الراهن. ومن المشكلة كذلك أن الأنظمة التي تجرى عليها حياة هذه الأمة قوانين وضعية ولذا كان جل حكامها لا شأن لهم بقيم الدينية والأخلاق حسب ما جاء في الشريعة الإسلامية" (بلقيس: 2020، ص2).

ويلاحظ أن الباحثة لم تكتب مشكلة بحثية، وإنما كتبت حقيقة علمية، تمثّلت في قضية التبرّج، وقد عالجها الإسلام منذ ظهوره، وبالتالي فالباحثة لم تقف على مشكلة حقيقية، والسّبب في ذلك أنها لم تتحقّق من صحّة مشكلة بحثها عبر تقصي الدراسات السابقة.

3- الخطأ النّاشئ عن الخلط بين مشكلةالبحث وأسئلته

لا يشكّ باحث في أنّ مشكلة البحث تختلف تمامًاعن أسئلة البحث، فالمشكلة كما سبق هي الفراغ أو النّقص في المعارف العلمية حول مسألة معينة تحتاج لمن يملأ ذلك الفراغ بإضافات جديدة، بينما الأسئلة تنبثق من إشكالية البحث؛بالإجابة عن السّؤال الرّئيس الظّاهر في مشكلة البحث، ونسوق هنا مثالا عن رسالة علمية، بعنوان: "**السلام في القرآن الكريم: دراسة موضوعية**"، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في كلية معارف الوحي والتراث الإسلامي، قسم دراسات القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، سنة 2002، للباحث آدم نوح فوفانا، ونص المشكلة: "إنّ الإشكالية الأساسية لهذا البحث تكمن في الإجابة على الأسئلة الآتية" (فوفانا: 2002، ص6)ثم ساق تسعة أسئلة.

ويلاحظ أن بحث الطالب خلا من المشكلة، وذلكبالتّعبير عنها بأسئلة كثيرة لا تتناسب ونوع البرنامج، كذا لا تتطابق مع أهداف البحث من حيث العدد والترتيب المنطقي، كما لم تنعكس على محتويات الرّسالة بشكل واضح ودقيق.

4- الخطأ النّاشئ عن صياغة مشكلة فضفاضة

نبّهنا فيما سبق أنّه ينبغي مراعاة المرحلة الدّراسية والاعتبارات العلمية عند صياغة المشكلة، فلا تكون مشكلة البحث فضفاضة يصعب التّحكّم فيها، ولا ضيّقة بحيث لا تؤدّي وظيفتها، ونسوق مثالا عن رسالة علمية بعنوان: "**الاختلاف في التفسير بين القدامى والمعاصرين**"، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، قسم القرآن الكريم وعلومه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، سنة 2019، للدكتور صالح جابر منشد العنزي، ونصّ المشكلة: "تتمثل إشكالية البحث فيالاطلاع والإحاطة بنوعية الاختالف وأسبابه، ودواعيه، ولماذا يتم تجديده بين كل فينة وأخرى، وهل هذا الاختلافففي الأصول أم في الفروع" (العنزي: 2019، ص2).

يلاحظ أنّ المشكلة التي صاغها الباحث واسعة جدًّا؛ بحيث لا يمكن للباحث الإحاطة بهذا الموضوع في مجرّد رسالة علمية إن افترضنا صحّة المشكلة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يلاحظ أنّ جميع الأسئلة المتفرّعة من هذه المشكلة، قد تمّ الإجابة عنها في دراسات كثيرة مثل: التفسير والمفسرون، والاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم للدكتور حسين

الذهبي، وغيرها كثير لمؤلّفين آخرين، والعنوان بصورته الحالية، يوحي أنّ الباحث سيجري مقارنة بين تفاسير مدرسة أهل السنّة أصيلها ومعاصرها، كون الباحث سنيًّا، ولكن عند تصفّح محتويات البحث، نجد أنّ الباحث أجرى مقارنة بين المدرسة الإثني عشرية، والعقلية الحديثة، والقرآنية، والصّوفية، والمؤسف له أنّ المشكلة كانت غامضة جدًّا، ولم ترتبطبدراسات سابقة تحدّدها وتوجهها.

5- الخطأ النّاشئ عن صياغة المشكلة بإسهاب

من ملامح صياغة المشكلة بشكل جيد؛ الوضوح الذي لا ينتهي إلى الرّكاكة، والإيجاز الذي لا يفضي إلى الغموض، ونسوق رسالة علمية، بعنوان: "**أثر مدرسة المنار في التفاسير الملاوية: تفسير القرآن الحكيم للشيخ مصطفى عبد الرحمن محمود أنموذجا**"، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الدكتوراه في كلية معارف الوحي والتراث الإسلامي، قسم دراسات القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا،للدكتورة ناظرة بنت محمد، سنة 2006. (ناظرة: 2006، ص5-15).

ويلاحظ أن الباحثة صاغت مشكلة البحث في سبع صفحات، وهذا يعد كثيرًا بالنّسبة لكتابة مشكلة البحث؛ مما جعل المشكلة تبدو غير واضحة، وكان يمكن من الباحثة أن تختصر المشكلة في صفحة واحدة، وتوظف باقي الكلام في المدخل العام للبحث.

ونخلص الآن إلى ذكر أهم الأخطاء المتكررة في صياغة مشكلة البحث:

- ✓ بدء المشكلة بسؤال رئيس للخطة.
- ✓ عدم وضوح المشكلة.
- ✓ التطويل في صياغة المشكلة دون الحاجة إلى ذلك أو الإيجاز الذي يفضي إلى الغموض.
- ✓ عدم ربط المشكلة بالدراسات السابقة.
- ✓ عدم تحديد الفجوة العلمية المراد ملؤها بمعارف علمية.
- ✓ الخلط بين المشكلة وهدف البحث وأهميته.
- ✓ عدم بيان الإضافة العلمية المراد إضافتها في البحث.
- ✓ اختيار الباحث مشكلة البحث من خارج تخصصه.
- ✓ أن يجبر الباحث على اختيار مشكلة غير مقتنع بها.
- ✓ أن تكون المشكلة قديمة وسبق لبحوث سابقة أن تناولتها.
- ✓ أن تكون المشكلة أكبر من قدرات الباحث و إمكاناته العلمية والمادية.
- ✓ عدم تناسب الإشكالية المطروحة في البحث مع المدة المخصصة للبرنامج الذي يدرس فيه الباحث
- ✓ تسرع الباحث في صياغة المشكلة، وعدم التحقق من صحتها.
- ✓ صياغة المشكلة بأسلوب غامض وغير دقيق علميًّا.

خاتمة:

وبعد هذا التّطواف العلمي حولموضوع ضوابط صياغة مشكلة البحث العلمي، وأخطاء الباحثين، من خلال عرض نماذج من الأطروحات الجامعية في التفسير وعلوم القرآن الكريم، يمكن إجمال أهم ما توصّلت إليه الدراسة في النقاط الآتية:

1- أبان الباحث عن مفهوم المشكلة في البحث العلمي، وأنها المنطلق الأساس في كتابة البحث العلمي، وأنه لا يمكن تصوّر أطروحة جيدة دون مشكلة جيدة.

2- أوضح الباحث أنّأخطر ما قد يقع فيه الباحث ابتداء؛ اختياره الارتجالي لإشكال البحث العلمي؛ فيبذل جهدًا مضنيًا واسعًافيما سبق بحثه؛ليكون حظّه من عمله سوى السّهر والتّعب في جمع المعلومات، والحقائق.

3- بيّن الباحث الشروط الأساسيّة عند صياغة مشكلة البحث العلمي، والمتمثلة في: الإخلاص، التحقّق من صحّة المشكلة، التأنّي وعدم الإسراع، مراعاة التخصص والأهلية العلميّة، الالتزام بالواقعية والوضوح والإيجاز غير المخلّ، مناسبة المشكلة لبرنامج الطالب، الكفاية العلمية والمادية وربط المشكلة بالدراسات السابقة.

4- سجّل الباحث أهم الأخطاء الواقعة من الباحثين أثناء صياغتهم المشكلة البحثية في أطاريحهم الجامعية في التفسير وعلوم القرآن.

5- ومما سجله أيضًا، بيان أهم الأخطاء المتكررة في صياغة مشكلة البحث العلمي.

6- وبالإجمال أقول: صياغة المشكلة فنّ يدرك بالتعلّم والممارسة والمطالعة والمناقشة، ولها شروط وآليات ينبغي معرفتها والالتزام بها؛ لأنّإغفالها جهلًا أو تكاسلًاينتج إشكالًا وهميًا، والبحث المؤسّس عليه، يصير لاغيًا لا قيمة له في المجتمع الإنساني، وعالة على جهود السابقين.

قائمة المراجع:

- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار (د.ت): المعجم الوسيط، القاهرة: دار الدعوة
- الأنصاري، فريد (1997): أبجديات البحث في العلوم الشرعية، ط1، الدار البيضاء.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (2002): صحيح البخاري، ط1، دار طوق النجاة.
- بلقيس، عمر مختار (2020): صفات المرأة الصالحة من خلال سورة الأحزاب: دراسة موضوعية، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.
- الجرجاني، علي (1983): كتاب التعريفات، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (1987): رسائل ابن حزم الأندلسي، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- دراز، محمد عبد الله (1998): دستور الأخلاق في القرآن، ط10، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السيوطي، جلال الدين (د.ت): التعريف بآداب التأليف، مكتبة التراث الإسلامي
- الشاطبي، إبراهيم بم موسى (1997): الموافقات، ط1، بيروت، دار ابن عفان
- العنزي، صالح جابر (2019): الاختلاف في التفسير بين القدامى والمعاصرين، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية.
- العواودة، أمل سالم (2002): خطوات البحث العلمي، الجامعة الأردنية، مكتب خدمة المجتمع.
- ابن فارس، أبو حسين (1979): معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر.
- فوفانا، آدم نوح السلام (2002): السلام في القرآن الكريم: دراسة موضوعية، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في كلية معارف الوحي والتراث الإسلامي، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.
- القرالة، أحمد ياسين (2011): مشكلة البحث في الدراسات الفقهية والآثار المترتبة عليها، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، المجلد38، ع1، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية.
- محمد فاضل، مصطفى المين (2020): منهج الإمام الألوسي المتوفى 1270هـ في علم المناسبات وأثرها في تفسيره روح المعاني من خلال سورة سبأ وفاطر ويس - جمعًا ودراسة ونقدًا، بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، في كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.